أزمة الرجولة والحراك النسوي بقطاع التعليم في الجزائر من وجهة نظر الذكور:

قراءة أنثروبو ديموغرافية

The Crisis of Virility and Feminist Mobility in Education Sector at Algeria From Male Perspective:

Anthropo-Démography Reading

محمد زيان*[1]، الجيلالي سالمي[2]

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر) m.zian@univ-chlef.dz

[2]جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة (الجزائر) salmi.djillali@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2021-11-01؛ تاريخ المراجعة : 2022-03-25 ؛ تاريخ القبول : 2022-03-31

ملخص:

نستعرض في هذه الورقة البحثية الكيفية التي تتم من خلالها تنشئة الجنسين في الأسرة الجزائرية على التمايز والاختلاف، إذ لم تعد تُهيء الرجال لحُب ألعاب السلطة، ولم تعد تستوعب طموحاتهم ورغبتهم في تحقيق هويتهم الرجولية، في مُقابل تسعى لتهيئة النساء للعب أدوار جديدة، خاصة مع تنامي تعليم وخروج المرأة للعمل، وبفضل الحقوق التي ناضلت من أجلها النساء باتت تقترب بحكمة من دواليب السلطة وتطمح في الانخراط فيها بشكل مُباشر دون وكالة، أي أنهن سحبن تلك الوكالات من الرجال سواء كانوا أزواجاً أو آباء أو إخوة، بل أكثر من ذلك ليس هناك تعاطف مع «الهّم الذكوري» كما يسمية بيار بورديو، حيث يتموقع الرجال في وضع مُتأزم، كميكانيزم دفاعي ضد حالة اللا أمن و اللاقانون والتمييز الجنسي...، وأفسحوا المجال للنساء اللواتي بدأن في التحالف مع بعضهن لمواجهة الظلم القائم ضدهن، مع تنامي اقتراحات نظام اجتماعي بديل يؤّمن لهن المُساواة.

اعتمدنا في هذه الدراسة أنثروبو -ديموغرافية على المنهج الإثنوجرافي في العمل الميداني نظراً لطبيعة الموضوع وخصوصيته العميقة في تقصي الحقائق والمعلومات من أصحابها، من خلال الحديث عن تصوراتهم، طموحاتهم، أحلامهم، والعوائق التي تعترضهم، وعليه كانت عينة الدراسة مقصودة وتّم الوصول إليها من خلال عينة كرة الثلج، وهي 15 حالة من الذكور تتراوح أعمارهم ما بين 18 إلى 37 سنة (ذكور)، كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي القائم على بعض الأدوات مثل: معامل الارتباط، معامل التحديد، معدل التمدرس، معادلة الانحدار الخطي...

الكلمات المفتاحية: المرأة، الرجل، السلطة الأبوية ، أزمة الرجولة، تمدرس الفتاة، المساواة بين الجنسين، تأنيث التعليم.

Abstract:

In this paper, we try to address how gender is shaped in the Algerian family on distinguish and differentiation. It no longer prepares men to love power games and no longer accommodates their ambitions and desire to achieve their masculine identity, as opposed to seeking to prepare women to play new roles, The growing education and exit of women to work, and thanks to the rights that women fought for, are approaching wisely from the wheels of power and aspire to engage them directly without an agency, that is, they withdraw those agencies from men, whether they are husbands, fathers or brothers, but more than that there is no sympathy With «masculine concern» how much Pierre Bourdieu, where men are in a state of crisis, as a defensive mechanism against insecurity, lawlessness and sexual discrimination...have given way to women who have begun to ally themselves with the injustice they face, with the growing proposals of an alternative social system that guarantees equality.

In the present study, we rely on the ethnography of the field in view of the nature of the subject and its deep specificity in investigating the facts and information of their owners by talking about their perceptions, ambitions, dreams and obstacles. Therefore, the sample of the study was intended and reached through the snowball sample, which are 15 cases of males between the ages of 18 to 37 years (males). It also relied on the statistical method relying on some tools such as: correlation coefficient, coefficient of determination, schooling rate, linear regression equation...

Keywords: women, men, patriarchal power, virility crisis, school gril, gender equality, Feminization of teaching.

I- تمهيد:

في الوقت الذي يتراجع فيه دور الشباب بهروبهم من الواقع الذي بات يؤرق تفكيرهم خوفاً من «سيطرة الأنثى وسلطتها»، كما لو كانت علاقتهم مع المرأة مبنية على المؤامرة والخديعة، تتحرك النساء نحو المواقع التي كانت حكراً عليهم وتتخندق فيها مُدافعة عن مكتسباتها، فتضع مسألة المساواة بين الجنسين في صميم القضايا الاجتماعية، وتبدأ في زعزعة أهم قلاع السلطة الأبوية (الأسرة). الأمر الذي لفت انتباهنا في هذه الورقة البحثية لافتراض كون الأزمة العميقة التي يمرّ بها الرجال بشكل عام وفي طليعتها الشباب، هي دليل قاطع على الحراك الاجتماعي الذي تقوده المرأة، وتجلت كـ أزمة استدعت - في نظرنا - ضرورة الدفاع عن النموذج التقليدي للرجل بـ « أن يكون في تراتبية فوقية، لأن علاقات الجنس تجعله كذلك، وبالتالي سيناضل من أجل الحفاظ على هذه الوضعية»، وسيكون العنف بكل أشكاله.

إنه لمن الضروري إطالة النظر في مسألة المرأة كموضوع هام بغض النظر عن السّجالات الفكرية التي قد تطال الدراسات البحثية المتناولة له في صميم التحولات الكبيرة التي عرفتها العلاقات بين الجنسين في الجزائر، وكيف أثّرت حالة التمييز والاختلاف خاصة في التنشئة بين الذكر والأنثى على طبيعة العلاقات الاجتماعية لأجيالنا؟، وكيف يقف الكثير من الشباب اليوم «عاجزون وعازفون» عن تقديم يدّ المُساعدة لتغيير الواقع الاجتماعي المُتأزم؟، والتدخل بشكل ايجابي في مُجريات ما يحدث في مجتمعهم من تناقضات تُنبئ بتغيرات جذرية على مستويات عديدة، بل أثرت هذه التناقضات على استقرار هُوياتهم الاجتماعية، والنفسية، وهي بطبيعة الحالة ليست بمعزل عن هّوية المجتمع وثقافته الأبوية، هذه الثقافة التي تريد التكريس والتبرير أكثر مّما تريد شيئا آخر، وبالتالي فالمرأة باعتبارها جزء لا يتجزأ من هذه الثقافة، فبدونها لا يمكن أن تتعزز وتبقى وتدوم.

من الأسئلة التي طالما طرحناها في اشتغالنا على مواضيع «الرجولة والذكورة وتمدرس الفتاة وتأنيث التعليم...»، وفي علاقة الرجل بالمرأة، هل تغّير أم بقي تقليدياً في علاقته معها بصفتها كائن «بيتي يجب حجبه»، فالظاهر أن طبيعة العلاقة تبدو إشكالية، من وجهة نظر سوسيو أنثروبولوجية، ويمكن القول كذلك أنها مبنية على انعدام الثقة بين الجانبين ويشكل « التعصّب والتحّفز» أوجّه هذه العلاقة غير المتكافئة، إذا قبلنا بالمفهومين في تمازج مصفوفة «رجل/امرأة »، لتبدو في ظاهرها ضرورة لابّد منها، وفي باطنها حاملة لبذور مؤامرة قائمة على الخديعة والانتقام.

إن مفهوم أزمة الرجولة الذي نحن «بصدّد طرحه في هذا المقال ليس جديداً في حقل السوسيولوجيا الغربية، فهو وارد عند السوسيولوجين بفرنسا على سبيل المثال لا الحصر: في أعمال كرستوف دوجور (C, Dejours)، فرونسواز دوسانكلي (F, de Singly)، دنيال ولزر لنج (D, Wlzer-lang)، جون كلود كوفمان (JC, Kaufman)، جاك كوميل (J, Commaille)، موريس جودلييه (M, Gaudelier)، مشيل بوزون (M, Bozon)، نيكول كلود ماثيو (NC, Mathieu)، باسكال دوري (P, Duret)، آلان تورين (A, Touraine)، آن ماري دفرو (A-M, Devreux) جون كلود كورتين (J-C Courtine)...وغيرهم. وبعض الدراسات في دول عربية مثل: الرجولة المتخيلة والرجولة لـ مي غصوب & إيما سنكرويب، وأحوال النساء لـ عزة شرارة بيضون والرجولة في الإسلام لـ نادية تازي وفتحي بن سلامة» (زيان، 2018، صفحة 175)، بحيث نقصد بأزمة الرجولة، الصعوبات التي يواجهها الذكور في تشكل هويتهم الذكورية، وعدم قدرتهم على إثبات الذات، وهي ماثلة في خطابات الشباب الجزائري منذ بداية الحرب الأهلية إلى يومنا هذا، ومن «تجلياتها استواء الذكورة الباعثة على الألم في حياة الرجال، لا مصدراً للقوة، كما ينبغي لها أن تكون» (بيضون، 2007، صفحة 29).

تتمحور إشكالية أزمة الرجولة في افتراض كون مظاهر تمدرس وعمل النساء في قطاع التعليم، قد يحرك لدى الشباب الذكور، مختلف الرواسب المحملة بالميز الجنسي ضد المرأة، وعدم الاعتراف بها اجتماعياً رغم الاعتراف القانوني من طرف السلطة السياسية. إذ «حظي قطاع التعليم بحضور قوي للنساء، حيث وجد ترحيباً من طرف الرجال أنفسهم باعتباره مجالاً لا يختلف كثيراً عن مجال البيت. فالعلاقة دائماً مع الأطفال وبالخصوص في التعليم الأولي والأساسي (الابتدائي). الأمر الذي لا يخدش كرامة الرجل وشرفه، إنه يشكل انتقالاً من مكان الحجب إلى مكان آخر محجب (القسم). لذا انزاحت النساء في البداية

نحو هذا الحقل. فكان الجسر الذي عبرت من خلاله المرأة مجال المنزل إلى مجال المجتمع (امرأة- المجتمع)» (الخمار، 2005، صفحة 6)، غير أن إقبال المرأة على التعليم وحيازتها على أكبر حصة في هيئات التدريس وولوجها لمجال العمل سهل ولوجهن للفضاء العام (espace publique)، وهو الأمر الذي يدفعهن للمشاركة في السياسة العامة، ما سيحيلنا للبحث مستقبلاً عن ظواهر كـ: انخفاض المستوى التعليمي بسبب تأنيث التعليم، هيمنة النساء على مناصب الشغل الحديثة في وزارة التربية الوطنية، تأثير التعليم على أدوار المرأة، تأثير وظيفة المعلمة على سلوكات الأطفال... وعليه كانت إشكالية بحثنا كما يلي: **كيف يساهم الحراك النسوي داخل القطاع التعليمي في تعزيز الشعور بالأزمة لدى الرجال؟، وتفرعت عنها تساؤلات موضوعية: كيف يعبر الرجال عن عجزهم أمام هذا الحراك؟، وما هي تصوراتهم لنتائج تزايد دور المرأة في القطاع التعليمي بصفة عامة؟، وكيف يمكن تفسير حراك النساء في القطاع التعليمي؟.**

1-1. هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى كشف العلاقة بين الرجل والمرأة وطبيعتها من وجهة نظر الذكور، أي كيف ينظرون إلى تفوق المرأة في الحياة وخروجها للدراسة والعمل من خلال قطاع التعليم؟، حيث يعتقد بعض الذكور «أن المرأة تسطو على كل ما أنجزه الرجل وبناه لتتربع على عرش المجتمع والأسرة»، وقد استمالت كل الطاقات لتبدو ضعيفة، واستغلت كل الوسائل للإغارة على مملكة الرجل ومبادئه ومقدساته، عن طريق «الجسد والرهافة والحُسن والجمال». إنها أسلحة ناعمة يقودها «جنس لطيف»، قوته تتستر خلف لطفه، إنها المرأة حينما تمرّ في الشارع أو مجال العمل. بناء لذلك نركز على أقوال المبحوثين الذكور حول تصورهم لهذا الحراك بغض النظر عن تسمياته بأنه تعصب أو عنف وتمييز، والقصد من ورائها الفهم والتوضيح، ونقل خطاباتهم بأمانة، ثم تفسير أزمة الرجولة من خلال تأنيث القطاع التعليمي، عن طريق البيانات الإحصائية التي توفرها المؤسسات الحكومية.

1-2.أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تقترب من عينة من الشباب الذكور وتنشئتهم الاجتماعية، لأجل فهم تصوراتهم حول واقعهم، ونقل همومهم وآلامهم بموضوعية، إذ باتوا يعانون من مشاكل حقيقية منذ ما يقارب ثلاثون (30) سنة من صعوبات في التأقلم والتكّيف مع متغيرات العولمة والثقافة، منذ اندلاع أحداث أكتوبر 1988، في عينة تبدو أنها لم تعد تشعر بهوياتها الذكورية في ظل واقع وظروف صنعت منهم أفراداً سلبيين وغير واقعين ومتقوقعين على ذواتهم، بحيث تشكّل لديهم ما يشبه مولدات مضادة (Anti dote) تجاه كل تغيير، خاصة ما يتعلق علاقتهم بالنساء. وعليه نتوقع من هذه الدراسة أن تخلق جانباً من التهويل العلمي للفت الانتباه نحو ظواهر اجتماعية في غاية الأهمية، حيث لا تزال مجالاً خصباً للتناول السوسيولوجي والأنثروبولوجي المُتعلق بـ مفاهيم مثل: «الذكورة والذكورية والرجولة، المساواة واللامساواة بين الجنسين، السلوك الإنجابي، تأنيث التعليم...وغيرها»، وهي محاّور اشتغالنا في بحوث أكاديمية ومقالات عديدة، تهتم بطبيعة المجتمع الجزائري الذي لا يزال في طور الانتقال على -حدّ تعبير- مصطفى بوتفنوشنت. وكذلك محاولة معرفة وفهم التطورات التي يعرفها قطاع التربية فيما يخص وضعية الجنسين، وبالأخص تمدرس الفتاة حتى ولوج عالم الشغل (التمدرس والتأطير).

II - الطريقة والأدوات:

وظفنا في هذه الدراسة المنهج الإحصائي معتمدين على بعض الأدوات مثل: معامل الارتباط، معامل التحديد، معدل التمدرس، معادلة الانحدار الخطي...وغيرها، ومن قراءة للمعطيات الإحصائية والأشكال البيانية تتبين لنا طبيعة العلاقة بين تنامي مستوى خروج المرأة وتفوقها الدراسي مقارنة مع تخلي الذكور عن أدوارهم الاجتماعية وعلاقتها بالأفكار التي تُحمل المرأة مسؤولية جميع المآسي التي يعانون منها، وحاولنا تفسيرها من خلال اعتماد مناهج بحثية: المنهج الاستقرائي بتناول الجزئيات

بالتحليل ثم التعميم في مراحل موالية، والمنهج المقارن بمقارنة واقع الرجل والمرأة وبين الدراسة النوعية والمقاربة الإحصائية، ومنهج البحث الإثنوغرافي الذي يعتمد على الوصف المكثف، واختيار عينة مقصودة تتكون من 15 مبحوث من الذكور، ورغم صغر حجم العينة المختارة في المقاربة النوعية، فهي لا تهدف لتعميم النتائج على المجتمع الكلي بقدر «اختيار المشاركين يتم وفقاً للعينة النظرية على أساس قدرتهم على توفير المعلومات (وبناء النظرية لاحقاً) عن الظاهرة المدروسة. إن التمثيلية المقامية (Situationnel) التي لا تتقيد بالضرورة بالخصائص الديموغرافية هي المطلوبة في البحث الكيفي، يعني إلى أي حد يمكن استعمال النظرية، التي تم استخلاصها من دراسة معينة كنظرية تفسيرية، لتجارب أفراد آخرين موجودين في وضعيات مماثلة» (أحجيج، 2019، صفحة 103).

اعتمدنا كذلك على منهج العمل الميداني منذ شهر أكتوبر 2019 إلى غاية سبتمبر 2021 بمدينة الشلف*، نظراً لطبيعة الموضوع وخصوصيته في تقصي الحقائق والمعلومات من أفراد العينة، من حيث تصوراتهم وملاحظاتهم لحضور المرأة في الفضاء الاجتماعي وتعليقهم عليه، ومعرفة طموحاتهم وأحلامهم، والعوائق التي تعترضهم في حياتهم اليومية، حيث تراوحت أعمارهم ما بين 18 إلى 37 سنة، وتوقفنا عند العدد 15 رجل (Radjol) (وهي الصفة واللفظ المتداول في المجتمع للذكور سواء كانوا صغارا أو بالغين)، نظراً لوصولنا لنقطة الذروة أو التشبع النظري، فيما يخص المعطيات والمعلومات الكيفية، لأن الهدف هو استكشاف التجارب الذاتية للمبحوثين وعوالمهم المعيشية، وكيف تنعكس عوالمهم على وعيهم المباشر، فضلا عن استعمال وسائل كيفية أخرى كالملاحظة بالمشاركة، الأمر الذي يبرر الحجم الصغير للعينة، حيث وجدنا أن النتائج متماثلة بالنسبة لجماعة من الأفراد، وأنها لم تضف جديداً إلى البحث، وكانت الخصائص العامة للعينة،كما يلي:

	العمر	حالة اجتماعية	المستوى الدراسي	الوظيفة	السكن أو الحي	مدة ولوج السجن
م1	18	أعزب	متوسط	بطال	شعبي	//
م2	19	أعزب	ثانوي	طالب	شعبي	//
م3	20	أعزب	متوسط	بطال	شعبي	//
م4	20	أعزب	ثانوي	نجار	شعبي	//
م5	21	أعزب	ثانوي	طالب	بناء جاهز	//
م6	23	أعزب	متوسط	بطال	شعبي	//
م7	25	أعزب	جامعي	موظف	شعبي	//
م8	27	أعزب	جامعي	بطال	بناء جاهز	//
م9	27	مطلق	متوسط	بطال	عشوائي	03 أشهر
م10	29	أعزب	ثانوي	بطال	عشوائي	01 سنة
م11	30	مطلق	ثانوي	بطال	عشوائي	//
م12	33	أعزب	جامعي	تاجر	شعبي	06 اشهر
م13	34	مطلق	متوسط	بناء	عشوائي	//
م14	36	أرمل	متوسط	عمل حر	شعبي	03 أشهر
م15	37	مطلق	ثانوي	لحام	عشوائي	//

* - تقع ولاية الشلف غرب الجزائر العاصمة على بعد 200 كلم، يحدّها من الشمال بلديات بني حواء، تنس، المرسى، سيدي عبد الرحمان ومن الجنوب ولاية تيسمسيلت ومن الشرق ولايتي عين الدفلى وتيبازة ومن الناحية الغربية ولايتي مستغانم وغليزان.

III- النتائج ومناقشتها:

3-1.تنشئة تمييزية تدع الرجل وتدفع المرأة:

تستدعي تنشئةالذكور في المجتمع الأبوي لعب أدوار الحماية والدفاع والتسلط والفرض، وبالتالي يـُصبح الرجل «القّيم والمّوجه والحارس» على ما يصنعه الآخرون والأقّل منهم بدرجة أو درجات، وفي مقدمتهم النساء اللواتي تنجزن الأعمال، وتساهمن في دفعها بشكل مباشر وفي إعادة إنتاج الثقافة الذكورية، حيث تشير نتائج تنشئة الذكور أنهم لم يتعلموا كيفيات المشاركة في أعمال البيت رغم بساطتها منذ الطفولة (غسل الأواني والمطبخ، تنظيم الغرفة أو البيت وترتيب الملابس...وغيرها) وتّم التغاضي عن إجبارهم على العمل داخل البيت واحترامه، والتمتع بنعيم الراحة والنوم وهم يراقبون الإناث ينجزن نيابة عنهم الأشغال المنزلية، لأنهن في نظرهم خلقن لأداء هذه الوظائف بالفطرة، وهذا من شأنه أن يحيلنا لكيفيات تقسيم العمل في المجتمع اليوم ومقارنته بالماضي هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلتفت للسكوت عن حثهم للعب أدوار السلطة في المجتمع كـ العمل خارج البيت ودفعهم للنضال من أجل حياة أفضل أسوة بالنساء اللواتي يناضلن للتموقع للحصول على امتيازات اجتماعية، كما لو أن هناك تناقض كبير في التنشئة الاجتماعية للذكور بين تنشئة الأسرية وتنشئة الدولة، وبحيازة الذكور «مكانة هامة داخل أسرهم، لكن هذه المكانة تفرضها أدوارهم الاجتماعية الجديدة، مثل الحصول على عمل وإعالة البيت أو الزواج أو مستوى التعليم» (زيان م.، 2016، صفحة 188).

تسعى تنشئة الذكور على مفاهيم الرجولة والشرف، بحيث تفرض واجب الاستئثار بهرم السلطة داخل الأسرة وتدفع لتمثله بوصفه ضرورة منطقية لا مناص منها، «وبهذا المعنى، الامتياز الذكوري لا يدفع ثمنه النساء فقط، ولكن الرجال أيضاً، لأنه يصبح فخاً، أو لنقل عبئاً ثقيلاً عليهم يجلهم يعيشون توتراً شديداً ورهاباً من فقدان القدرة على إعادة إنتاج امتيازاتهم وإثباتها أمام الجميع، الشيء الذي ينتج عنه بالضرورة فقدان احترام أصدقائهم وتقديرهم، ومن ثم استبعادهم من عالم الرجال» (شهبار، 2018، الصفحات 121-122).

3-2.هو في الشارع وهي في المدرسة:

تحصر «الثقافة الأبوية الحياة الاجتماعية النسائية في المجال البيتي، وتحرم المرأة الخروج منه والاختلاط مع الرجال، إلا أن هذه الثقافة أصبحت يعاكسها وجود نساء تسهمن في النشاطات الاقتصادية والإدارية خاصة في المدن» (Addi, 1999, p. 127)، وبتجاوز عتبة الدائرة المنزلية تجد المرأة نفسها في حالة عداء، في أوساط العمل والشارع والمدرسة، مثلاً «ونحن نعاين أحياء المدن لم نجد فيالأحياء السكنية سوى الذكور، يجوبون الشوارع ذهاباً وإياباً وفي ذات الوقت، لاحظنا الكثير من الشابات تغادرن مساكنهن صباحاً ُمتلفعات بألبستهن كأنها دروع، حيث تركن خلفهن أمهات تودعنهن عند الأبواب، وأحياناً أخرى يرافقن آباؤهن خارج الحي، ونحو المدينة. وفي الغالب يتعرضن لمختلف أنواع التحرش، وتكون أحياناً موضوعاً لعراكات ومناوشات بين الإخوة والأهل وأبناء الحي في الدفاع عن شرفهم»، وعليه «يعيش الرجال الذين تعمل بناتهم أو زوجاتهم قلقاً من فضيحة وشيكة وصعوبة تقبل شائعة تتناقل في يوم ما تمس شرفهم، كما تعيش النساء القلق ذاته، إذ عليهن الخضوع لضغوطات يومية ومقاومتها لكي لا تسقطن في تشابك مأساوي، وينبع قلق الرجال من النساء العاملات الذين تمنحهم الثقافة الأبوية حق الدفاع عن شرفهن» (Addi, p. 134).

إذن جعلتنا هذه الملاحظات المسجلة نتساءل عن من يبقي في الحي؟ ومن يغادره؟، وكيف يمكن أن نوضح تحّول التوازنات في شكل مصفوفة (أم /بنت = أب / ابن) التي ستصبح فيما بعد (أم / ابن = أب / بنت)، حيث سنحاول توضيح بعض أوجهها من الناحية الإحصائية، في (الأشكال البيانية 1-2-3-4)**: فما هي الظواهر المُترتبة عن خروج الفتاة نحو الحّيوالمدينة؟، هل هي من مظاهر الحراك النسوي في فرض منطق جديد في حياتهم؟، وما طبيعة الصعوبات التي ستلقاها النساء في شق هذا الطريق؟.**

إنه لمن الصعوبة بكان الإجابة عن كل هذه التساؤلات، التي تُترجمها عبارات المبحوثين الممزوجة بالحزن والسعادة، فدراما الشارع هي الواقع الحقيقي، كما يقول مبحوث رقم23/6 سنة «كل يوم عايشين سيناريو جديد، dégoutage، والسماطة اللّي مكرهتنا وضاغطة علينا،اوصايبنش وين نوجَّهْ وا، الواحد لاقي غير روحوا يسب فيها ويشمت في روحوا واللاّ نفرغوا زعافنا في النسا اللي عايشين معانا، حنا نكرهوا كل شي ونسبوا الروتين اللي عاشين فيه» (إننا في كل يوم نعيش سيناريو جديد لشكل من أشكال الضغط والإكراه، ولا نجد كيف نواجهه، إننا لا نجد سوى أنفسنا نشمتها أو نفرغ غضبنا في النساء اللواتي يعشن معنا، نحن نكره ونشتم كل شيء، بسبب الروتين الذي نعيش فيه)، ومبحوث29/10 سنة «حابين يبدلونا الـ Mentalité، ويرجعونا ماشي رجال، ويرخسوك بـ Fati، وإيمان تحكم فيك والله العظيم غير هاذي لي متصراش» (يريدون أن يغيروا لنا العقلية، ويرجعوننا أشباه رجال، ويقللون من قيمتك بـ Fati وإيمان والله العظيم هذا لن يحدث)، وقول مبحوث37/15 سنة «علاش ربي راه ساخط علينا، كون ماشي الحالة تبدلت والمرا ولات تحكم في الرجالة» (أليس ذلك من سخط الله علينا، لأن كل شيء تبدل والنساء أصبحن تتحكمن في الرجال).

يعتقد الذكور أن النظام الأبوي نظام قائم من إرادة الطبيعة، لذلك «لا يتأخر البعض في تفسير الكوارث والطبيعة، بالتغيير الذي طرأ على العلاقات بين الرجال والنساء، فسبب الجفاف، والزلازل والأمراض والفياضانات وحده: فساد الزمان بما أحدث من بدع يشهدونها، والتي تمس يوميا بنظام الأشياء، نظام الطبيعة والمجتمع الذي يهيكله ذلك القانون الخاص، الذي تخصصه الثقافة الأبوية للمرأة محملة إياها مسؤولية جميع المآسي التي تحدث»(Addi, pp. 19-20) . وبالتالي فهم يشعرون بتغير هذا النظام ويعبرون عن نقدهم لأسباب تغيره موجهين أصابع الاتهام للمرأة.

داخل دائرة «الحي» المصفوفة« أم/ابن»:

نلمس تبدّل المصفوفة «ابن / أب = أم / بنت» إلى مصفوفة «ابن/ أم = أب/بنت»، إذ بقي في الحي «ابن أمه»، كما يقال بالعامية الجزائرية، هو الرجل المدلّل، النائم في غرفته أو في زاوية من المنزل، وفي العادة لا يكون صحوه إلا في حالات الضرورة، لمصلحة أو سفر أو لقضاء حاجاته بيولوجية، ويكون لدى أفراد عينتنا مابين الحادية عشر صباحاً وربما إلى غاية بعد الزوال، ففئة تستيقظ ما بين التاسعة إلى غاية 10.00 بنسبة 35%، وفئة أخرى بنسبة 45% ما بين 10-و12 صباحاً ، وأخيراً فئة ثالثة بنسبة 20% تستيقظ لما بعد الزوال، ويبررون أسباب بقائهم داخل المجال البيتي بـ الفشل الدراسي وصعوبة التأقلم مع الوضع، البطالة، العجز في الحصول على عمل في ظل منافسة المرأة لهم، حسب أقوالهم:

- مبحوث 18/1 سنة/ ثانوي «مَلّي خَرْجُونِي ما الثانوية ماعنديش واش ندير غير التسركيل في La cité واللاّ برّا» (منذ أن- طُردت من الدراسة (الثانوية) وليس لي أي عمل أقوم به سوى النوم أو التسكع في الحي والشارع)، فشل دراسي وفقدان ثقة في الذات.
- مبحوث19/2سنة/ثانوي «الله غالب أنا أقوم مُتأخراً لأني لا أجد ما أفعله عندما استيقظ»، بطالة وانعدام رغبة في البحث عن عمل.
- مبحوث 20/3 سنة/جامعي « علاش أنوض بكري مادامني ماندير والو ها رانا تخرجنا ورانا قاعدين، وجرينا جرينا و ماكان والوا» (لماذا استيقظ باكراً ما دمت لا أقوم بأي شيء، رغم تخرجي من الجامعة، وسعيت كثير للحصول على وظيفة لكن بدون جدوى)، انعدام الرغبة في البحث عن عمل بسبب الكثير من المحاولات الفاشلة مع شعور باليأس.
- مبحوث 20/4 سنة/ جامعي «في ميزك أن ننجم نرقد، أنا ما نقدرش نرقد حتى لوكان نرقد راني قاعد» (أنا أستطيع النوم في رأيك، أنا لا أستطيع النوم وحتى لو نمت فأنا مستيقظ)، انعدام الرغبة في البحث عن عمل وشعور باليأس والقنوط.
- مبحوث 21/5 سنة/متوسط «أنا نجوز كل وقتي قدّام الـ Micro» (أقضي ساعات طويلة على جهاز الكمبيوتر)، البقاء في البيت أمام جهاز الكمبيوتر وعدم الرغبة في العمل.

- مبحوث 27/9 سنة/ابتدائي «c'est vrai عيب يقضي الواحد كامل وقتوا فالرقاد والتسركيل برّا، mais هذه هي الحقيقة والواقع في البلاد اللي تخدم النسا وتوفر لهم الظروف» (صحيح من العيب أن يقضي الرجل كل وقته في النوم والتسكع في الشارع، لكن هذه هي الحقيقة والواقع في بلد يشتغل فيه النساء وتوفر لهم كل الظروف)، عدم قناعة بالعمل، ورفض توظيف النساء.

يبحث هؤلاء الشباب عن مُسوغات للبقاء داخل دائرة « البيت» و«دائرة الحيّ»، بسبب الفشل في الدراسة والبطالة والتهميش والتنشئة الاجتماعية غير السوية، فهم يعانون من الـ «روتين (Routine) قاتل»، حسب قول المبحوث 29/10 سنة، وأدلّى أغلبهم أن ما يعيشونه أصعب من البحث عن وظيفة (علماً أن نسبة 100% يصرحون بعد رغبتهم في عمل لا يتوافق مع تصوراتهم)، لأن طموحاتهم وأحلامهم لن تتحقق حتى بعد تولي وظيفة، بسبب ضعف القدرة الشرائية وتهاوي عملة الدينار الجزائري وغلاء المعيشة. وفي المقابل نلمس ارتفاعاً في التحصيل الدراسي للإناث وارتقاء في أوضاعهن وبالأخص في طور التعليم الثانوي، مما يؤدي لتفاقم الفوارق بين الجنسين (أنظر **الشكل 02**)، ورغم أن عينة الدراسة لم تتم تنشئتها الاجتماعية للبقاء ضمن دائرة البيت، مع ذلك تتجاهل الدور المنوط بها داخل المجتمع، كنوع من التمرّد على التنشئة الوالدية منتظرين أقدارهم أو لمسة سحرية تخرجهم من دوامة أحلام اليقضة.

كما يلتمسون الأعذار في النظام السياسي الذي جعلهم بهذا الشكل ومنعهم الأحقية في العمل المناسب لطموحاتهم، إذ يفضل أغلبهم أعمالاً تتناسب مع وظائف الحماية والحراسة (عون حماية، أمن، شرطي، عسكري، حارس...وغيرها)، وأغلبهم ينتظرون المعونة من الآخرين خاصة الأمهات ويفاوضون في توفير حياة البذخ والرخاء دون واجبات (طلب قروض، أموال، وظائف لا تتناسب مع مؤهلاتهم...)، وبالتالي تستشري فيهم الثقافة التواكلية (Culture Dependency)، بحيث يرغبون في العيش على نفقات الأسرة ويطمحون في سخاء الدولة. وبالتالي يمكن القول أن «الهيمنة الذكورية قد خسرت شيئاً ما من بداهتها المباشرة، فإن بعض الآليات التي تؤسس تلك الهيمنة ما زالت تواصل الاشتغال، مثل علاقة السببية الدائرية التي تقوم بين البُنى الموضوعية للفضاء الاجتماعي والاستعدادات التي تنتجها سواء عند الرجال أو عند النساء» (بورديو، 2009، صفحة 90)، وطالما يعيش هؤلاء الشبان تحت سقف البيت الأسري ولم يحصلوا على الاستقلالية الاقتصادية، فلا مفر لهم سوى تقبل ظروفهم داخل النظام الأبوي.

أغلب حالات العينة ترفض الانتماء لمجال البيت، كون النساء قمن بتعليمهم أن البقاء في البيت معناه التخلي عن مكانتهم كـ رجال، لذلك يُوجهون بشكل غير مباشر نحو عدم تقبل المساواة مع الأخوات منذ الصغر ويطردون نحو الشارع الذي يكثر فيه الرجال أو كما يقول بورديو نحو « ذكورية المجال العام»، فالطفل الذكر ليس من حقه البقاء مدة طويلة داخل البيت، لأنه سينعت من طرف النساء وفي مقدمتهم الأم، بأنه «مرية» أي المتشبه بالمرأة، وكانوا يعتقدون أن سبب طردهم عائد لمشاكساتهم وصراعهم فيما بينهم وعدم امتثالهم للضوابط. لذا على الذكر أن يتعلم كيف يكون رجلاً في الشارع والحي، لكن الأمر يتعلق بالتنشئة الذكورية، وهذا التبدّل الذي سيحدث فيما بعد بـ الانتقال من الشارع نحو البيت له مؤشراته ؟، فهل هو تمرّد على التنشئة أم أنه مقاومة مغايرة لسلطة الأنثى ورغبة في السيطرة على مجالها البيتي، الذي يعتقد الذكور أنها تنتمي له رغم تبدل أحوالها عن طريق التعليم والعمل.

يمارس هؤلاء الذكور عملية مراقبة النساء داخل الحي، ويقومون عبثاً باستعراض إيديولوجيتهم في سن قوانين تكرّس وضعية الدفاع عن الرجولة، لكن من موقع ضعيف وهشّ، حيث يعرف معظمهم فشلاً في الدراسة وصعوبة في الحصول على وظيفة ومشاكل في التعبير عن المشاعر، كما سبق القول آنفاً - ، لذا يتصرف أغلبهم ضمن عقلية موّحدة، بالتظاهر بالقّوة والبأس وكونهم أسوياء ولا ينقصهم أي شيء، وأمام النساء لا مجال للمجاملة ويكمن مبدأ هذه الذهنية « في الخوف من فقدان تقدير وإعجاب الجماعة، وفقدان ماء الوجه أمام الأصحاب، وأن يجد المرء نفسه مطروداً إلى الفئة المؤنثة النموذجية للضعفاء والخنوعين والمنسونين واللواطيين... وغيرها، وهكذا فإن ما نسميه شجاعة يضرب بجذوره أحياناً في شكل الجبن: ويكفي

للاقتناع بذلك استعراض كل المواقف التي تكون فيها إرادة الهيمنة أو الاستغلال أو القمع، من أجل الحصول على أفعال من قبيل القتل أو التعذيب أو الاغتصاب، مرتكز على الرهبة الذكورية من الاستبعاد من عالم الرجال» (بورديو، صفحة 86).

يحاول الذكور الوالجين لمجال «البيت» فرض سلطتهم في الداخل و بإيعاز من الأمهات **(مصفوفة أم/ ابن)** اللواتي توفرن لهم كل الضرورات، ولذلك فولوج امرأة أخرى للبيت معناها تقبل سلطة الأم بأي شكل وهذا معناه خضوع لسلطة الرجل (الزوج)، وفي نفسه تنسحب سلطتهم نحو الحّي عن طريق الرمزيات التي لا مجال لانتهاكها من طرف البنات والنساء عموماً، أي يجب قبول التحريمات والتعليمات الاعتباطية، المفروغ منها، لأنها مطبوعة في نظام الأجساد، غير أن ظروف هؤلاء الشباب داخل دائرتي «البيت والحي»، تمنعهم من التحكم في النساء خارج هاذين الدائرتين، وهي «دائرة المدينة»، لذلك ينشأ الاشتغال على الوصّم وإلصاق النعوت المناسبة، وهو ما يفسر فيما بعد لجوء الفتيات للزواج بالأباعد (خارج المجموعة القرابية أو من نفس الحي).

3-3.خارج الحي مصفوفة «بنت/أب»:

يواجه الكثير من الآباء صعوبات جّمة في تربية أطفالهم الذكور على غرار الإناث، وبتعبير أحد الآباء «باتت تربية الذكور صعبة، فأنا لي فتاة واحدة من بين 4 ذكور، لكنها الوحيدة التي تشعر بمعاناتي وتعبي، أمَّا هم فلا أجد منهم سوى التذمر وصداع الرأس والمشاكل»، ويمكن التنويه لمؤشرات الحراك الذي تقوده النساء في المجتمع الجزائري خاصة منذ العشريتين الأخيرتين، وانعكاساته على طبيعة العلاقات بين الجنسين، حيث تمتاز بالتوتر والتنافر، نظراً لغياب مفاهيم مشتركة في فهم الواقع، والتزام كل جنس بمشروعه الخاص. وهذا ما يثير -في نظرنا- الكثير من الإشكالات حول طبيعة العلاقة الناشئة عن إقصاء كل منهما للآخر، لذا يتداول الذكور فقدان الثقة في النساء اللواتي غادرن الحي للدراسة والعمل، «فبعد أن كانت الفتيات ممنوعات من إتمام الدراسة خاصة في الاختصاصات، التي تضمن لهن مهنة عليا وذات قيمة، بات ولوجهن شيئاً فشيئاً يسيراً، وانطلق مسار التغيير بصورة بطيئة وتدريجية، انطلاقاً من المستوى الابتدائي إلى غاية المستوى الجامعي والمدارس الكبرى في السبعينيات والثمانينات»(Marry & Nicole, 2006, pp. 443-455).

تنتقد عينة البحث الآباء الذين ينتقلون صُحبة بناتهم لممارسة وظائفهم خارج دائرتي «الحي والمدينة»، إذ يستنكرون بشدّة تعامل هؤلاء الآباء مع البنات بأنهم «أشباه رجال» نسوا المعنى الحقيقي للرجولة، ولأنهم قاموا باستبدال كل الأشياء المتعارف عليها عرفياً وتقليدياً في التعامل مع النساء، فهم حسب تعبير مبحوث 27/9 سنة «باعوا الـ Matcheوقَّطْعُوا الُمْطَاشْ» (لقد قاموا بتسليم المباراة وقصوا الشوارب)، لكن من الطبيعي أن يكون الكثير من الآباء فخورون بصحوة بناتهم، ورغبتهن في الارتقاء على غرار الذكور الذين لا يهمهم تغيير واقعهم، وبالنظر لأمثلة كثيرة للظلم الاجتماعي والحرمان والتحيز الجنسي القائم ضدهن من طرف عينة من الرجال الذين لا يرون في المرأة إلا في ثوب كائن سلبي ينبغي إخفاؤه، لأنه «يتصف بالشبق الجنسي والتعطش للسلطة»، ومن البديهي كذلك أن يرافق تصور وضع النساء في اتجاه ارتقائي صاعد في المقابل مشاعر الكّره والغيرة والتعصب لدى الذكور (إخوة، أبناء عمومة، جيران، زملاء دراسة...)، وكان لهذه المشاعر تأثير كبير في دفع عجلة الحراك النسوي وكفاحه من أجل المساواة، التي لا تقتصر على نوع الجنس فقط.

تشير عينة البحث أن مغادرة الفتاة لـ «دائرة البيت» من شأنه أن يوقعها في حلقة صعبة خارجه «خارج/ المدينة»، لأنها ستقف في مواجهة الذكور وجهاً لوجه كنوع من التحّدي، وسيرفضون وجودها ويرسمون حدوداً لتحركها، لذلك ينبغي الاحتراس والالتزام بالكثير من الشروط كـ السير بانحناء وخضوع وتذلل واختيار اللباس بعناية كي لا تثير فتنة الرجال، مع احترام مواقيت الدخول والخروج وتقبل الحماية...وغيرها، ويمكن أن نعبر عنها بقول المبحوث21/5 سنة «المّرا لازم تحترم روحها كي تخرج لبّرا لاقيباش نظرة الناس ماترحمش وممكن يصرا فيها الشفاية والباطل» (المرأة يجب أن تحترم نفسها عندما تخرج للشارع، لأن نظرة الناس لا ترحم ويمكن أن يحدث لها أمر جلل وباطل)، وعليه يدلي المبحوثين بآرائهم كون المرأة التي تعمل أو تخرج نحو المدينة للتنزه والسياحة، فهي تسعى للتحّرر. وبالتالي هي ليست سوى امرأة متسلطة (المصطاشة «صاحبة شنبات» و

المسترجلة)، ولا يمكن أن يتم قبولها من طرفهم كـ «زوجة» وكـ «كنة» عند أم الزوج، لأنها متطلبة وتبحث عن الاستقلالية الاقتصادية، وتسعى لـ تفجير الأسرة وتعيش على الوجبات السريعة وتودع أبناءها دور الحضانة، وتخرج الرجل من دائرة «البيت والحي»، التي ترمز للذهنية الذكورية التقليدية إلى «دائرة المدينة»، حيث يضيع ويتحطم شرفه، حسب تعبير مبحوث26/4سنة «أنا نولي نحوس مع مرتي في البلاد ويشوفوها الرجالة تسركل Normal، هاذي والله ما تصرا» (في رأيك أنا آخذ زوجتي للمدينة للسياحة ويراها الرجال تتنزه بشكل عادي، هذا والله لن يحدث)، فالمرأة مكانها في البيت والمرأة الخارجة منه «متاع وفتنة»، لذلك فهي عرضة لكل أنواع العنف.

يخشى أفراد العينة من الوقوع في امرأة من النموذج المتحرر، التي ترفض الحجب والعزل، لأنها ستنسف كل تاريخهم وتقاليدهم وتوقعهم في مشاكل هم في غنى عنها، لأنها تجد في مساندة الأولياء والأهل ما يساعدها على رفض سلطة الرجل، وسيكون لها حرية اختيار الزوج الذي يقبل بسلطتها وقوتها، لذلك من بين شروطها الأساسية: الاستقلال عن البيت الأبوي للزوج، والتخلص من سلطة الحماة، والتسلط على الزوج، حيث سيكون مُستلب وفاقد للشخصية، على العموم تفضل عينة البحث «المرأة المستكينة والخاضعة»، والتي لا تتصف بهذه المزايا ستخسر «صفات الأنوثة» وتوصّم بشتى الأشكال وتقع في دائرة التقييم الصارم وبطبيعة الحال فالخطأ وارد، لأن الكثير من النساء اللواتي يتعرضن يومياً للتحرش والتمييز الجنسي والتعصب لا يستطعن الاحتجاج أو الإبلاغ عن الفاعلين.

IV- الحراك النسوي و الواقع الديموغرافي:

يعتقد عامة النّاس في المجتمع وحتى في الوسط الأكاديمي أنّ نسبة مواليد الإناث هن أكثر من مواليد ذكور، وهذا ما جعلهم يتصورون فكرة اللاتوازن بين الجنسين، بمعنى أن نسبة الإناث أكبر من الذكور، وهذا الاعتقاد أساسه مجموعة من الملاحظات اليومية التي يعيشها الفرد ضمن الجماعة والثقافة، من بينها ارتفاع نسبة العنوسة، تواجد المرأة خارج دائرة البيت (عكس الماضي)، النسب المرتفعة للعاملات، خاصة في قطاع التعليم، النسب المرتفعة للمتمدرسات (التعليم الثانوي والجامعي)...وغيرها من الملاحظات التي قد يقدمها لك أي شخص تلتقيه في الشارع، حتى الإعلان عن نتائج المسابقات وبالأخص قطاع التعليم (تكاد تخلو من جنس الذكور)، وأضحى الذكور يواجهون ذلك بالكثير من الانتقادات اللاذعة وبالسخرية والتهكم، وباتوا يشعرون بـ نوع من المؤامرة التي تمارس ضدهم بوعي أو دون وعي من الدولة، وهو الأمر الذي يدفعنا للتساؤل: **عن وضعية المرأة مقارنة بالرجل في مجال قطاع التربية؟** ومقارنتها مع الدراسة الميدانية**.**

4-1.وضع المرأة من الناحية الديموغرافية:

من الخطأ الاعتقاد أن التغير الحاصل في المجتمعات، واقتحام المرأة جميع المجالات، قد يرجع جزء منه إلى ارتفاع المواليد الإناث مقارنة بالمواليد الذكور، فهناك مسلمة معروفة في الجانب الديموغرافي تقول أن لكل 205 ولادة لدينا 100 مولود من جنس أنثى، وهذا يعني أنّ نسبة ولادات الذكور هي الغالبة وبفارق +5 ونتيجة لتعرض الذكر أكثر من الإناث لاحتمال الوفاة خلال السنوات الأولى من الولادات، فإن نسبة الذكور إلى الإناث تتعدل بعد خمس وحتى العشر سنوات الأولى، لتصبح 100 ذكر مقابل 100 أنثى، وهذا بالنسبة للمجتمعات المستقرة، «فمن المعلوم أن المجموعات السكانية المختلفة ضمن المجتمع السكاني تتبع توزيعا نوعياً ذا نمط معين، وأن ابتعاد هذه التوزيعات عن الأنماط المتوقعة للتركيب الجنسي يعطينا إشارة محتملة وواضحة عن وجود خلل في هذه البيانات وابتعادها عن واقع البيانات بشكل أو بآخر» (ذنون، 2011، صفحة 46).

يرجع حدوث هذا الخلل إلى عدة أسباب من بينها: الحروب، الهجرات الدولية، «فنسبة الذكور تتباين في المجموعات السكانية المختلفة باختلاف مستواها الاجتماعي العام، ونظرتها إلى الإناث، وتقديرها لقيمتهن، ومقدار العناية بهن. والأقطار المفتوحة للهجرة تجتذب إليها المهاجرين من الشبان دون النساء، ولذلك تزداد فيها نسبة الذكور كما أن مراكز التعدين تكاد

تكون معسكرات للرجال دون النساء، في الوقت الذي تجتذب فيه مراكز الصناعات الخفيفة وصناعة النسيج الأيدي العاملة الأنثوية، فتقل فيها نسبة الذكور إلى النساء. نسبة الجنس تتحدد الآن بقوى مألوفة مثل: الخصوبة، الوفيات، الهجرة، الحروب...وغيرها» (ذنون، صفحة 48).

يوضح **الشكل (01)** نسبة الذكور إلى الإناث حسب الفئات العمرية الخماسية بناء على معطيات آخر تعداد للسكن والسكان سنة 2008.

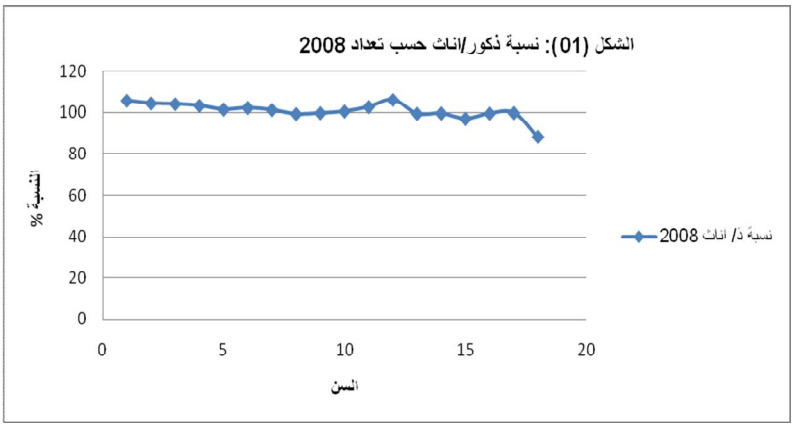

يؤكد الشكل 01 ، أنّ المجتمع الجزائري مستقر وأنّ هناك توازن بين الجنسين، يحدث على العموم بداية من العمر 20 سنة حتى العمر 80 سنة، لكن بعد 85 سنة وما فوق، نلاحظ تراجع نسبة الذكور إلى الإناث، وهذا عائد إلى أن متوسط حياة المرأة هو الأكبر دوماً، مقارنة بمتوسط حياة الرجل في الحالة العادية وفي كل المجتمعات. وبالتالي يمكن القول أن هذه البيانات تنفي تماماً ما يعتقده الناس على أن نسبة الإناث اليوم هو الأكثر مقارنة بالجنس الذكر، كما تؤكد حالة التوازن بين الجنسين، وهي الحالة الطبيعية للجنس البشري في هذا الكون.

4-2.وضع المرأة (التمدرس) في قطاع التربية

عملت الدولة الجزائرية ومنذ الاستقلال في كل مشاريعها التنموية على فكرة تمدرس الجميع بما فيهم جنس الإناث، بسن مجموعة من القرارات والتشريعات من بينها مجانية التعليم والزاميته لمن هم دون سن 16 سنة، غير أن هناك الكثير من العراقيل لم تسمح بتحقيق تلك الأهداف من بينها غياب التأطير (المعلمين، الأساتذة) وهياكل الاستقبال غير الكافية (مدارس، متوسطات وثانويات) لتمدرس الجميع. ويضاف إلى هذه العراقيل مشكل آخر وهو النظرة الدونية للفتاة من طرف جنس الذكور على أن المجال المكاني لها لا يتعدى الفضاءات المخصصة للمسكن (دائرة البيت)، وفي بعض الأحيان يتسع نوعا ما ليشمل المزرعة وقد يمتد إلى المرعى. أما المدرسة فهو مكان غير مرحب بها فيه، لذلك ظلت الفتاة محرومة من ارتياد المدرسة رغم توفر المرفق ولم تحظ حينها بنفس الفرص المساوية الذي حظي بها جنس الذكور، لكن إلزامية التعليم والعمل على تمدرس الفتاة التي جاءت بها أمرية 76 خلقت نوع من الضغط على الأولياء، وإن كان بطريقة غير مباشرة. وبالتالي فالامتناع عن تدريس الفتاة، قد يؤدي بولي الأمر إلى متابعات قضائية إن وجد من يحرك القضية، والشكل الموالي يوضح حركية التعليم الابتدائي منذ نيل الاستقلال، إلى يومنا هذا بالنسبة للإناث.

من خلال ملاحظتنا لـ **الشكل (02)** نجد أن نسبة تمدرس الفتاة اليوم بمرحلة التعليم الابتدائي تقترب من 50%، ما يعني أنها قطعت شوطاً طويلاً لتتقاسم تلك المقاعد المخصصة للدراسة مع الجنس الآخر، ولا نكاد اليوم نجد فتاة بدون تعليم، والتي كانت وفي زمن قريب في الريف الجزائري لا تغادر البيت إلا للرعي أو لجلب الماء والحطب وممارسة بعض الأنشطة الزراعية بينما نظيراتها في المدينة (المدن الكبرى) تتوجه كل يوم إلى المدرسة لتلقي العلوم والمعارف، لغياب الأعراف والتقاليد التي تقف كحاجز أمام تمدرس الفتاة.

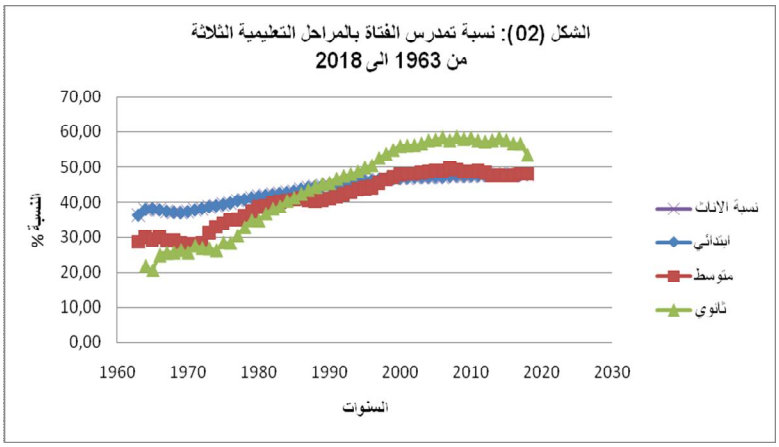

الأمر ذاته في مرحلة التعليم المتوسط، أما بالنسبة لمرحلة التعليم الثانوي فيختلف نوعا ما عن المراحل السابقة، أين تواصل ارتفاع تمدرس الفتيات ببلوغها نسبة 60%، بزيادة قدرت بحوالي +10%، وهذه الزيادة أو الفارق ليس نتيجة ولوج الفتاة إلى المدرسة، لأن تمدرسها أصبح عملية حتمية وقد قاربت نسبتها 50% في السنوات المبكرة الأولى للتمدرس، أين أصبحت تتقاسم مع الذكور مقاعد الدراسة، بل نتيجة تفوق الإناث على الذكور في التحصيل الدراسي وتخلي الكثير من الذكور عن الدراسة (وهو حال أفراد عينة البحث)، وهذا حتماً سيزيد من مخرجات النظام التربوي لصالح الأنثى ويزيد من حظوظ المرأة للولوج إلى الجامعة ثم عالم الشغل، فقد تضاعف تمدرس الفتاة بالجامعة «بشكل ملفت للانتباه فاق التوقعات، حيث انتقل معدل نموهم من 100%، خلال الموسم الدراسي 1998/1997 إلى 419 % للموسم الجامعي 2010/2009، أي بفارق قدر بـ 319%، ويرجع هذا إلى السياسة المعتمدة من طرف الدولة، والتي تلح على تمدرس الفتاة، لتحظى بنفس الفرصة التي يحظى بها نظيرها الذكر» (سالمي، 2014، صفحة 211).

نلاحظ في **الشكل (02)**، وعند نقطة التقاطع في الرسم البياني: تتشكل لنا كوكبتان مختلفتان ومتناظرتان الكوكبة الأولى تبدأ سنة 1962 وتنتهي سنة 1985، وهي نقطة تقاطع نسب تمدرس الفتاة بمرحلة التعليم الثانوي مع تمدرس الفتاة بمرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط، أين عرفت هذه المرحلة تفاوت في نسب التمدرس بين المستويات الثلاثة (ابتدائي، متوسط وثانوي)، فشهدت نسب التمدرس ارتفاعاً في الهوة بين المراحل التعليمية في السنوات الأولى، لتبدأ في التقلص لغاية حدوث التقاطع ويرجع السبب الرئيسي في ذلك لارتفاع حالات التخلي عن الدراسة للفتاة، ويزداد هذا المقدار (أي التخلي)، حسب التدرج من مستوى إلى مستوى أعلى منه. ويمكن تفسير ذلك لكون خروج الفتاة للتعليم في السنوات الأولى للاستقلال كان يسير بالتوازي مع هيمنة السلطة الأبوية التي كانت لا تؤمن بالتعليم الرسمي للفتيات، وتحد من ولوجهن للمجال العمومي إلا في حالات الضرورة، واللواتي كان يسمح لهن بمزاولة الدراسة تجبرن على التخلي عنها في سن البلوغ، رغم تفوقهن الدراسي في مقابل تنامي الزواج (الزواج المبكر) أو حجبهن في دائرة المجال البيتي لمساعدة الأم في أشغال البيت **(مصفوفة أم –بنت)** وتربية الإخوة وبعض الممارسات الأخرى السائدة، لتبدأ هذه الهوة في التقلص حتى تنتهي سنة 1985، ويرجع السبب إلى عامل الاستقرار بالمؤسسات التربوية (الانتقال من مستوى إلى مستوى أعلى+ الإعادة)، ونخص هنا الفتاة رغم التقدم في السن يسمح للفتاة بمواصلة دراستها في المستويات التعليمية المختلفة.

تبدأ الكوكبة الثانية من سنة 1985 إلى غاية سنة 2018، أين نلاحظ زوال الهوة بين نسب التمدرس للفتاة في مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط لتستقر في حدود 50%، أما في مرحلة التعليم الثانوي، فتشهد نسب تمدرسها اتساعاً لتستقر في حدود 60%، لتعرف فائضاً يقدر بحوالي 10% وسببه الرئيسي هو المردود التربوي، أي أن الفتيات قد سجلن نتائج أحسن من

الذكور في تحصيلهن الدراسي، ويعود الفارق المسجل إلى التسرب والتخلي عن الدراسة، بينما يعود استقرار نسب تمدرس الفتاة بمرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط إلى عدة أسباب من بينها إلزامية التعليم.

نستنتج حسب معطيات الديوان الوطني للإحصاء، بأنّ ولوج الأنثى لعالم الشغل ما زال ضعيفاً، ولم يبلغ ما تطمح إليه المرأة اليوم، فخلال الفترة 2015/2011 انتقلت اليد العاملة النسوية من 16.26% إلى 18.26% من إجمالي المشتغلين، أين قدر عددهم سنة 2015 بـ 1934000 مشتغلة. وعلى العكس من ذلك تعرف الفتاة اليوم **اكتساح واسع في قطاع التربية**، وهذا ما يوضحه **الشكل رقم03**، الذي يعبر عن تطور نسبة المشاركات الإناث في عملي التدريس بمرحلة التعليم الابتدائي، أين انتقلت من 15.05 % من مجموع المشتغلين بهذه المرحلة إلى 80.10%، لتبقى 19.9% من نصيب الذكور .

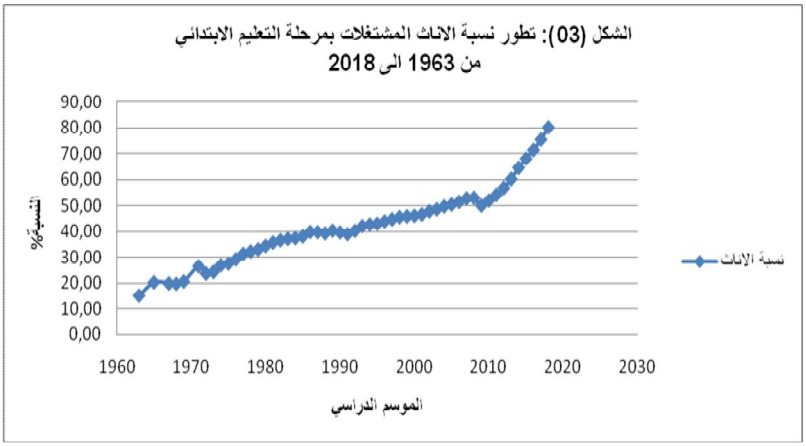

تتضح من **الشكل (03)** العلاقة الخطية الطردية الموجبة بين الزمن (السنوات الدراسية)، وبين نسبة مشاركة النساء المشتغلات بمرحلة التعليم الابتدائي، مقارنة بالجنس الآخر (الذكور)، لذلك قمنا بتقدير معلمتي النموذج البسيط، والذي يعطى بالشكل التالي : $y_i = a + b x_i + e_i$ حيث :

x_i تمثل القيم التي يأخذها المتغير المستقل (السنة الدراسية) في تفسير هذه الظاهرة.

e_i مقدار الخطأ أو الفروق بين القيم الحقيقية، التي تشكل نقاط الكوكبة والقيم التي تقع على الخط المستقيم، ويسمى هذا المتغير بالمتغير العشوائي، الذي يمثل جميع العوامل الأخرى، التي تؤثر في المتغير التابع والتي لم تأخذ بعين الاعتبار أو التي لا يمكن قياسها.

a : مقدار ثابت.

b : معامل الانحدار.

بعد إجراء العمليات الحسابية لإيجاد قيمة a و b تحصلنا على الدالة المقدرة وهي:

$$y_i = 0.881 x_i - 1712$$

بعدها قمنا بحساب معامل التحديد والذي يوضح لنا قدرة النموذج الذي استخدمناه لتفسير التغاير في المتغير التابع، أي نسبة التباين في المتغير التابع والذي يمكن التنبؤ به انطلاقاً من المتغير المستقل،

يحسب معامل التحديد بالعلاقة التالية: $r^2 = \frac{\sum_{i=1}^{n} (\hat{y}_i - \bar{y})^2}{\sum_{i=1}^{n} (y_i - \bar{y})^2}$ وهو مجموع التغاير المفسر مقسوم على التغاير الكلي.

قدرت قيمته بـ $r^2 = 0.926$ وهذا يعني أن الدالة المقدرة استطاعت تفسير 92.6 % من التغاير الكلي وتبقى نسبة 7.4% غير مفسرة تعود للخطأ العشوائي.

يسمح لنا هذا النموذج بالتنبؤ بالظاهرة المدروسة، إذا بقيت الظروف على حالها، لذا نتوقع أن تصل نسبة المشتغلات بمرحلة التعليم الابتدائي إلى حدود 99% سنة 2056، وحتماً ستتقلص نسبة جنس الذكور بسبب عاملان رئيسيان هما: التقاعد والوفاة، بالإضافة إلى التخلي عن الدراسة والفشل الدراسي الذي سيؤدي حتما إلى عدم مواصلة الدراسة (عدم الحصول على شهادة البكالوريا). ونفس الشيء بالنسبة لمرحلتي التعليم المتوسط والثانوي، وهذا ما سيؤكده **الشكل رقم 04** والخاص بالمرحلتين المتبقيتين لمراحل التعليم، أين نلاحظ أنّ الشكلان يأخذان اتجاهاً واحداً على شكل خط مستقيم، مما يؤكد وجود علاقة طردية بين المتغير المستقل (السنوات الدراسية) والمتغير التابع (نسبة النساء المشتغلات بمجال التعليم)، كما نلاحظ أن نسب المشتغلات بمرحلة التعليم المتوسط، هي دائما الأكبر مقارنة بمرحلة التعليم الثانوي، أين بلغت كليهما سنة 2018، وعلى التوالي 72% بمرحلة التعليم المتوسط و65.16% بمرحلة التعليم الثانوي، وهذا ما يؤكد أن الأنثى اليوم تكتسح مجال التعليم بأطواره الثلاث تدريجياً ويتجه نحو تأنيث القطاع بالكامل.

ولإجراء التقديرات اللازمة لذلك وظفنا أيضاً معادلة الانحدار الخطي البسيط معامل التحديد، وتحصلنا على النتائج التالية:

مرحلة التعليم المتوسط $y_i = 0.872 x_i - 1695 \quad r^2 = 0.965$

مرحلة التعليم الثانوي $y_i = 1.159 x_i - 2276 \quad r^2 = 0.987$

هذان النموذجان إذن يسمحان لنا بالتنبؤ بالظاهرة المدروسة ويعطيان النتائج التالية:

- إنه في آفاق سنة 2058 وإذا توفرت نفس الظروف ستكون نسبة المشتغلات الإناث 99% مقارنة بجنس الذكور، وهذا بمرحلة التعليم المتوسط.

- أما بالنسبة لمرحلة التعليم الثانوي فستسبق مسألة تأنيث المرحلة إلى آفاق سنة 2050 لتصل إلى نسبة 99%.

الشكل (04): تطور نسبة الاناث المشتغلات بمرحلتي التعليم المتوسط و الثانوي من 1983 الى 2018

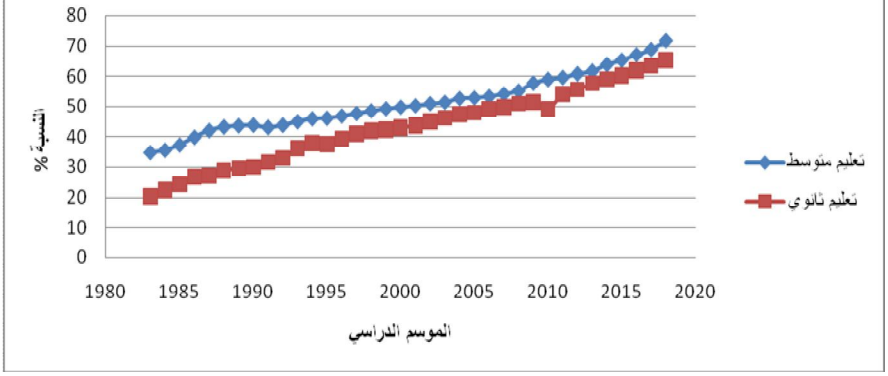

ساهمت الكثير من التشريعات القانونية بالجزائر في ولوج المرأة لعالم الشغل وتوفير الحماية القانونية لها (قانون الأسرة، تمدرس الفتاة، قانون الانتخاب، الدساتير 1963، 1964، 1989، قانون العمل الجزائري...)، وهي تزداد يوماً بعد يوم رغم قلتها في بعض المجالات لنستشعر اختلال في السلطة الأبوية، فـ«من السهل الإقرار بواقع هيمنة الرجال على النساء، لكن تفسير هذه الهيمنة لا يكون بالمميزات للخاصة بكلا الجنسين، بل بنموذج ثقافي ينيط بالرجال الغزاة والقناصة دوراً محورياً »

(تورين، 2011، صفحة 320)، وعلى سبيل المثال، فإن قطاع التعليم يعرف اليوم هبة نسوية معتبرة، بمختلف مستوياته ويجتذب فيه اليد العاملة الأنثوية مثله مثل مراكز الصناعات الخفيفة وصناعة النسيج المعروفة قديماً، أين تقل فيها نسبة الذكور، ولو أن الرجال قد أبدو ارتياحاً بالتحاق المرأة بمقاعد الدراسة في البداية ثم نحو التدريس كمعلمات منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، إلا أن هناك توجسات وقلق من اكتساحها للمناصب التعليمية والإدارية وعلى تأثيرها في إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية وعلى تأنيث المجتمع ككل كما تؤثر على فرص الإفادة الاقتصادية من الأطفال، وانطلاقاً «من مؤشرات يوفرها الديوان الوطني لإحصائيات من خلال التعدادات نجد أن الجزائر قد حققت شوطاً مهماً فيما يخص تراجع معدل الخصوبة الكلي، أين انتقل من 7.41 طفل/ امرأة سنة 1977 إلى 2.67 طفل/ امرأة سنة 1998 لتعرف بعدها ارتفاع طفيف لتصل 2.74 طفل/ امرأة سنة 2008، وهو آخر تعداد عرفته الجزائر» (Salmi & Zian, 2019, p. 798)، وللتفكير في النتائج المترتبة التي توضحها الوضعية الإحصائية في **الأشكال 1، 2، 3، 4** وتغيير المصفوفتين: **أم- بنت و أب-ابن إلى أم-ابن وأب- بنت**، يمكن استخلاص:

- «اتساع ظاهرة أنثوية التعليم وانتشارها وتبنيها كمشروع مجتمعي في فلسفة الأنظمة التعليمية بوعي أو بدون وعي.
- صعوبة حصول التوازن على مستوى التوزيع الجنسي للعمل التعليمي والقلق الناجم عن ذلك بصدد النتائج المحتملة على مستوى الأطفال- كرجال ونساء الغد.
- ارتباط تضخم العنصر الأنثوي بالتعليم في المؤسسات التعليمية في المجتمع العربي بالخصوص بسيادة عقلية محافظة ما تزال تعيش على سيطرة تصور رجولي عن المرأة» (الخمار، صفحة 22)

V- الخلاصة:

يبدو أن حاصل دخول المرأة للفضاء العام قلب موازين القوى لدى الكثير من الشباب الذكور، والذي يسمى عند النساء خروجاً يوحي بدلالات العنف تجاههن، وهو ما جعل الذكور ينشؤون ما يشبه تصورات متماثلة ضد النساء، متعصبة، منّددة بوجودهن في انتهاك الفضاء الخاص بهم وينتقد منحى الدولة في تقسيم العمل بين الجنسين، كما ينتقدون القرارات السياسية والإدارية المتحيزة للمرأة وتحررها عن طريق العمل، وهو في نظرهم ناقوس خطر حقيقي يهدد السلطة الذكورية في الأسرة والمجتمع، مما يجعلهم ميالون لرفض قوانين الدولة والتمرد ضدها، في ظل نمو المشاعر القبلية والتعصب. وهو ما حاولنا توضيح من خلال تبدل المصفوفة التقليدية أب/ابن= أم/بنت إلى مصفوفة أب/ بنت= أم/ابن، وتبيانها من خلال الشق الإحصائي الذي تناولنا فيه وضع المرأة ديموغرافياً في قطاع التربية.

عندما نفكر في المجتمع الجزائري، وكل هذه المفاهيم: أبوية/ نظام/عنف/ امرأة، نستنتج أن ما يميز الرابطة الاجتماعية بين رجل /المرأة، هو سلطة النظام الأبوي، المشيِّد للشفرات الرمزية على -حدّ تعبير- بورديو، والمؤثر على المواقف الفردية والاجتماعية، وهو نظام اجتماعي يشتغل «باعتباره آلة رمزية هائلة تصبوا إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها. إنها لتقسيم الجنسي للعمل، والتوزيع الصارم جداً للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنسين، لمكانته وزمنه وأدواته. إنها في بنية الفضاء، مع التعارض بين مكان التجمع، أو السوق، المخصصة للرجال، والمنزل المخصص للنساء، أو التناقض داخل المنزل بين القسم الذكوري مع الموقد، والزريبة والماء والخضار مع القسم الأنثوي، وهي أيضاً بنية الزمن، يوماً، سنة زراعية، أو دورة حياة مع فترات القطيعة الذكورية وفترات الحمل الأنثوية، الطويلة» (بورديو، الصفحات 27-28)، فالشباب الجزائري يعيش مرحلة عسيرة أفقدته توازنه الاجتماعي وجعلته يسلك إستراتيجية جديدة لمواجهة اللاتوازن و اللانظام واللا أمن عن طريق ممارسة العنف بشتى أشكاله.

يسعى الشباب الذكور إلى تملّك لنساء عن طريق رموز وشفرات يتم اكتسابها من المجتمع ثقافياً، دون نقدها أو تحويرها، لفرض السيطرة عليهن وتحديد مجالات تحركهن، بتحجيبهن وتعنيفهن، الناجمة عن فهم خاطئ للرجولة، مع اتساع الهوة بين الحاجة للامتلاك وعدم القدرة على الامتلاك، للمعايير الصحيحة والوعي الكافي لفهم الظروف المحيطة بحياته، وهي تتصف بالاغتراب والفوضى الجنسية، لأن الوجود اليومي في مناخ يتسم بالقيم المضطربة، من شأنه أن يهب حلولاً ذاتية، واستهلاك كل الإمكانيات المتاحة للتفكير الموضوعي، كما يصيب الشباب بالإحباط المؤدي للانزلاق في الجريمة والأعمال الانحرافية، وهي مرحلة ربما ستزول مع مرور الوقت.

تكافح المرأة لتغيير ظروف حياتها، وتجاوز الحدود التي تفرضها الهيمنة الذكورية بالإقبال على التمدرس واجتياح مناصب الشغل في وزارة التربية التي من المتوقع أن ترتفع في بداية القرن الجديد. في حين يرفض الرجال التغيير، من خلال اكتساب قيم مشوَّهة تحت مظلة التنميط الغربي للشخصية البطولية، والتخندق في الذات المتوَّهمة من ضيّاع التاريخ الحافل بالانتصارات والحروب، فتنعكس سلوكياتها المتعصبة والكارهة للأنثى، من أجل إعادة التوازن الداخلي، ومواجهة الخوف المستشري في بنيانها بالمجد والسلطة والسيادة ويظهر أن هناك خوف من تأنيث التعليم يرافقه خوف من تأنيث المجتمع ككل.

المراجع العربية:

1. ألان، تورين. (2011). براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
2. الجيلالي، سالمي. (2014). وضعية قطاع التعليم العالي والبحث العلمي إشكالية التوازن بين الجنسين: العرض والطلب. مجلة آفاق لعلم الاجتماع، المجلد4، العدد1، 206-217.
3. العلمي الخمار. (2005). المجال والحجاب في سوسيولوجيا تأنيث التعليم في المغرب. المغرب: إفريقيا الشرق.
4. بيار بورديو. (2009). الهيمنة الذكورية، ترجمة سليمان القعفراني، مراجعة: ماهر تريمش. لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
5. حسن أحجيج. (2019). التعميم في بحث دراسة الحالة. مجلة اضافات ، 96-114.
6. خالد شهبار. (2018). سجال سوسيو أنثروبولوجي حول مساهمة النساء في إعادة إنتاج السيطرة الذكورية. مجلة عمران، 103-128.
7. عزة شرارة، بيضون. (2007). الرجولة وتغير أحوال النساء دراسة ميدانية. لبنان: المركز الثقافي العربي.
8. محمد زيان. (2016). التنشئة الاجتماعية ودورها في تشكيل الهوية الرجولية في المجتمعات العربية الإسلامية. دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد3، العدد3، 173-197.
9. محمد، زيان. (2018). أزمة الرجولة والهجرة غير الشرعية نحو أوربا، رؤية سوسيولوجية للدفاع عن القيم التقليدية لدى الشباب الجزائري. مجلة اضافات، العددان 44/43، 175-195.
10. يونس، مفيد ذنون. (2011). اقتصاديات السكان. الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع.

المراجع الأجنبية:

1. Addi, l. (1999). les mutations de la socété algerienne famille et lien social dans l'algérie contemporaine. Paris: la découverte.
2. Marry, C., & Nicole, M. (2006). Genre et éducation. Dans B. J. (dir), & M. Nicole, Traité des sciences et des pratiques de l’éducation (p. 562 p). Paris: Dunod.
3. Salmi, D., & Zian, M. (2019). Reproductive behavior following the economic, social and political changes in algeria. Route Educational And Science Journal , 789-811.

الوثائق، التقارير والمنشورات:

- 0ffice National des Statistiques, Démographie Algérienne- 2008, ONS, ALGER, 2009.
- Ministère de l'Education Nationale, Direction de La Planification, Données Statistiques, sous-Direction des Statistiques, Alger, 1962-2011.

- الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر بالأرقام، نتائج 2012-2014، رقم 45، مديرية المنشورات والنشر والتوثيق والطبع، الجزائر، نشرة 2015.
- الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر بالأرقام، نتائج 213-2015، رقم 45، رقم 46مديرية المنشورات والنشر والتوثيق والطبع، الجزائر، نشرة 2016.
- الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر بالأرقام، نتائج 2014-2016، رقم 45 رقم 47، مديرية المنشورات والنشر والتوثيق والطبع، الجزائر، نشرة 2017.
- الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر بالأرقام، نتائج 2015-2017، رقم 48، رقم 45، مديرية المنشورات والنشر والتوثيق والطبع، الجزائر، نشرة 2018.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

محمد زيان ، الجيلالي سالمي، (2022)، **أزمة الرجولة والحراك النسوي بقطاع التعليم في الجزائر من وجهة نظر الذكور:** قراءة أنثروبو ديموغرافية ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 14(01)/ 2022، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 395-410).